



مدى

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون
www.almadasupplements.com

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير



العدد (5719) السنة الحادية والعشرون
الخميس (1) آب 2024

صبيحة الشيخ داود والحركة النسائية في العراق

كتاب (أول الطريق) وثيقة تاريخية كبيرة

حكمت عزيز



صدر كتاب "أول الطريق في النهضة النسوية في العراق" لصبيحة الشيخ داود في آذار عام ١٩٥٨ في بغداد - مطابع الرابطة - وهو يعد أول كتاب نسوي في العراق ان المؤلف صبيحة الشيخ احمد داود (١٩١٥-١٩٧٥) رائدة النهضة العراقية واول طالبة جامعية مسلمة في العراق.



كما انها اول طالبة تدرس في كلية الحقوق بجامعة بغداد وكذلك اول محامية عراقية. في هذا الكتاب تحلل المؤلفة هذه النهضة منذ بداياتها اواخر القرن التاسع عشر وتطورها حتى سنة اصدار ذلك الكتاب عام ١٩٥٨.

تخسر صبيحة الشيخ احمد داود من اصول عائلية مهمة ومؤثرة في تاريخ العراق: فوالدها الشيخ احمد داود كان وزيراً للاوقاف عام ١٩٢٨ وعضواً في البرلمان العراقي كما انه لعب دوراً بارزاً في مناهضة الاستعمار البريطاني على العراق اثناء مشاركته في ثورة العشرين انضم الى صفوف شخصيات لامعة في الحركة الوطنية العراقية كالشيخ يوسف السويدي وجعفر ابو التمن والسيد محمد لصدر. اما والدتها نعيمة سلطان حمودة فهي شخصية بارزة واحدى النساء اللواتي اسسن اول جمعية نسوية عراقية.

يبدأ الكتاب بمقدمة للاستاذ منير القاضي الذي كان وزيراً سابقاً للمعارف ورئيساً للمجمع العلمي العراقي كما انه استاذاً للمؤلفة في كلية الحقوق، استعرضت صبيحة عبد فصول الكتاب السبعة عشرة مشاركة المرأة في ثورة العشرين وتقدم النساء العراقيات في مجال التعليم والثقافة والعمل وما تلاها من تأسيس جمعيات نسائية تهتم بمكافحة الامية، ومن ثم مشاركة المنظمات والجمعيات السياسية النسوية بالمؤتمرات القومية العربية وما تمخض عنه ذلك من المطالبة بالحصول على كامل الحقوق السياسية للمرأة العربية.

اختتمت فكرة تأليف "أول الطريق" عند صبيحة اثر القائها محاضرة يوم ١٩ آذار ١٩٥٦، بدعوة من عميد دار المعلمين السابق خالد الهاشمي، بعنوان "ملاحم من النهضة النسوية" ادركت من خلال اهتمام الجمهور بمحاضرتها ضرورة كتابة تاريخ للنهضة النسوية وتسجيل ملامحها على يد احدى ممثلاتها والشاهدات عليها كي لا ينسى هذا التاريخ وحتى يستلهم منها الباحثون والمؤرخون والناشطون في المستقبل.

استهلته المؤلفة كتابها بتناول دور المرأة العراقية في ثورة العشرين واكدت ان النساء سواء كن من المدينيات او من الريفيات قد تمتعن بوعي وفهم الاهداف الوطنية وضرورات الاستقلال بشكل لا يقل عما ابداه الرجال. فذكرت ان النساء شاركن



الحجب الثقيلة ورافعات اصواتهن بالهتافات الوطنية المناهضة للانجليز. خصصت صبيحة الشيخ داود ايضاً فصلاً كاملاً بعنوان "مفكرون انتصروا للمرأة" تذكر فيه "المجتهد النجفي الذي دعا الى تعليم المرأة" وهو العلامة الشيخ محمد حسين النائيني وذكرت ايضاً مساهمة الشخصيات النهضوية المشهورة كمعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وساطع الحصري ورفائيل بطي. لقد مدحت طويلاً صبيحة العلامة محمد حسين النائيني (١٨٦٠-١٩٣٦) لانفتاحه وحدائه فكره ولاسيما مواقفها ازاء "قضية المرأة" فذكرت ان

في النضال ضد المستعمرين البريطانيين في كافة مراحلهم من مساعدة المقاتلين "تحمل امتعتهم وتاتيهم بالزاد والمال، وتستنفروهم الى القتال وتثير النخوة في نفوسهم بالزغاريد واهزيج الهوسات، وحتى انها شاركت في القتال واكدت صبيحة ان ارتداء العبايات لم تمنع العراقيات من المشاركة التامة بـ "الجهاد" كما تشير اول مظاهره سارت فيها المرأة العراقية للتعبير عن اتجاهاتها الوطنية إثر استشهاد عبد الكريم النجار، المعروف بالأخرس عام ١٩٢٠ فشارك عدد كبير من النساء في التشييع وهن مرتديات العبايات السود وساترات وجوههن وراء

العلامة النائيني استشهد مراراً بالحديث: "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" كي يدافع عن التعليم النسوي وقد ترك الاثر الكبير عند علماء النجف في مواقفه التقدمية بالرغم من الانتقادات الشديدة التي وجهها كثير من علماء الشيعة التقليديين تضمنت جريدة الفجر الصادق، التي كان يديرها الاستاذ جعفر الخليلي والتي كانت تصدر في النجف في الثلاثينيات، رسالات النائيني وانتشرت من خلالها الدعوة للنهضة النسوية.

ثم ذكرت الشاعر الكبير المشهور معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥) ومواقفه القوية والصريحة الداعمة لحرية المرأة والمساواة بين الجنسين فاستشهدت ببعض قصائده التي تدافع عن حقوق المرأة وتدين الظلم الذي تعيشه المرأة العربية والمسلمة عموماً باسم الدين والتقاليد العرقية، فعلى سبيل المثال ابيات القصيدة "التربية والامهات".

أم المؤمنين اليك تشكو

مصيبتنا بجهل المؤمنات

وقالوا: شرعة الاسلام تقضي

بتفضيل (الذين) على (الواتي)

وقالوا: ان معنى العلم شيء

تضيق به صدور الغائبات

وقالوا: الجاهلات اعف نفسا

عن الفحشا من المتعلمات

لقد كذبوا على الاسلام كذبا

نزول السم منه مزلزلات

ان اول الطريق من الكتابات التي الفت في اطار مشروع النسوية التي تركت على كتابة التاريخ من "منظور" نسائي او نسوي وتطمح الى اضافة التاريخ النسائي الى التاريخ الرسمي او بالاحرى الذكوري الذي تجاهل المرأة ووضعها على هامش التاريخ. فساهمت صبيحة الشيخ داود في تسجيل النهضة النسوية في العراق فكتابها لا يختصر بصفة السيرة الذاتية بل يشغل حيزاً في

تراث النسوية العربية في عصر النهضة. صبيحة مثل معظم شخصيات النهضة تنتمي الى الطبقة العليا والاسر المتقفة والقيادية في الدولة العراقية فمن الطبيعي ان لا تتحدث عن نشاطات النساء الاخرى مثل الجمعيات اليسارية التي كانت سرية وتعتبر مخالفة للنظام بل ان تكتب مؤلفة "أول الطريق" من منظورها النخبوي القريب من قياديي الدولة العراقية الجديدة الحاكمة تحت الانتداب الانجليزي، ففي الثلاثينيات كان على الجمعيات ان تطلب موافقة السلطة عند انشائها ولم تحصل كثير من المجموعات النسائية على الموافقة فاضطرت للعمل السري وهذا ما حصل مع الجمعيات اليسارية ولاسيما المرتبطة بالحزب الشيوعي العراقي. فاغلقت مجلة رابطة المرأة العراقية (المرتبطة بالحزب الشيوعي العراقي) على سبيل المثال كما اوقت مجالات المجموعات الشيوعية في الاربعينيات لانها اعتبرت مخالفة للنظام قد تجهل صبيحة النشاطات الاخرى او تعتبرها هامشية وقليلة الاهمية مقارنة مع النشاط "الرسمي" المعروف لنسائي النسوية العراقية الذي تحدثت عنه طويلاً في كتابها، وهذا امر طبيعي جدا عند كتابة التاريخ: فالمتحدث يتكلم من مكانه ومنظوره الخاص، فتتكلم صبيحة عما تعتبره هاماً ومؤثراً بالنسبة اليها، فالنشاط النسوي الذي تعتبره ملفتاً للنظر وجديراً بالتناول هو النشاط الذي يتعلق باسرتها ومجموعتها الاجتماعية التي كانت متعلقة بالنخبة الحاكمة انذاك.

صبيحة الشيخ داود.. أول قاضية وصاحبة كتاب "أول الطريق إلى النهضة النسوية"

إعداد: سماح عادل

"صبيحة أحمد داود" حقوقية ومحامية عراقية مشهورة، وأول فتاة عراقية أكملت دراستها الجامعية في كلية الحقوق. انتسبت إلى نقابة المحامين سنة ١٩٥٦، وهي أيضاً أول قاضية لا في العراق فقط بل في الوطن العربي.

حياتها..

هي "صبيحة بنت الشيخ أحمد بن الشيخ داود الجرجيس"، كان والدها الشيخ "أحمد الداود" وزير الأوقاف في عهد المملكة العراقية. ولدت في بغداد ١٩١٢ ونشأت بها وتعلمت القرآن الكريم في صغرها، شاركت في عمر ٩ سنوات في المهرجان الأدبي الكبير الذي أقيم في بغداد سنة ١٩٢١ بعنوان سوق عكاظ، فمثلت فيه دور الشاعرة العربية الخنساء وهي تركب ناقه عربية وكان ذلك بحضور الملك فيصل الأول وكذلك والدها وزير الأوقاف الشيخ أحمد الداود. ثم أكملت الدراسة الابتدائية والمتوسطة، ثم دخلت دار المعلمات الابتدائية، وفي ١٩٣٦ دخلت كلية الحقوق وتخرجت فيها سنة ١٩٤٠، وهي أول فتاة عراقية أكملت دراسة الحقوق وكانت تسمى بلقب الحقوقية الأولى.

الجامعة..

تحدثت "صبيحة داود" في كتابها "أول الطريق إلى النهضة النسوية في العراق" عن بداية تجربتها الجامعية وهي تدخل كلية الحقوق عام ١٩٣٦ تقول: "عند قبولي في كلية الحقوق أخذتني والدتي في السيارة وأوصلتني إلى مدخل الكلية وأنا ارتدي العباءة وعلى وجهي البرقع الأسود، فلما بلغنا باب الكلية وجدنا الطلاب متجهزين على جانب الطريق وتأملت والدتي الطلبة فلاحظنا على وجوه بعضهم الرضا والقناعة، فدعتني بيدها قائلة انهي وحافظي على هدوء أعصابك. انتزعت البرقع عن وجهي وبقيت أتمسك بالعباءة وأشد عليها بيدي بقوة على الرغم من أنني كنت ارتدي ملابس محافظة جدا جعلت هيئتي أقرب إلى هيئة راهبة، أكماس طويلة وملابس سوداء وعباءة سوداء" ثم وجهت والدتي كلامها إلى الطالبة المتجهزين قائلة: "اعتقد أنكم ستعاملون أحتكم معاملة طيبة، فأنا أتركها أمانة لديكم واعتقد أنها ستكون عند حسن ظنكم ولن تتركوها إن شاء الله تندم على هذه التجربة". وكان لهذه الكلمات أثر طيب لدى الطلبة ورد بعضهم بكلمات طيبة وحماسية "مارست مهنة المحاماة مدة قليلة ثم عينت مفتشاً في وزارة المعارف ثم عينت بمنصب قاضية في محاكم بغداد عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٥٨ عينت عضواً في محكمة الأحداث واستمرت في هذه الوظيفة حتى أحيلت على التقاعد.

الصحافة..

ثم بدأت بكتابة المقالات ونشرها بالصحف وصمدت أمام التيارات التي حاولت منعها من ممارسة حريتها. وانضم إلى صوت "صبيحة"

أصوات مفكرين هزت أعمالهم مظلمة المرأة. فوقفوا إلى جانبها حرصاً على أن يضموا أصواتهم إلى صوتها نذكر منهم "الرصافي والزهاوي والجواهري ورفائيل بطي وعبد المجيد لطفي. إضافة لـ "جعفر الخليلي". ومن الأشخاص الذين حظيت برعايتهم لها الأستاذ "منير القاضي" عميد الكلية وقتذاك فكان لتلك الرعاية أثرها الإيجابي في حياة "صبيحة". وشد أزرها لمواصلة المسيرة.

في تلك الفترة بدأت بالسفر إلى بلاد العرب داعية إلى اتحاد المرأة وتفعيل دورها ونشاطها في إنشاء المنظمات والجمعيات. وبعدها أقامت في بيتها مجلسين أحدهما يرتاده أطباء ومفكرون وعلماء في القانون واللغة. حتى أن أحد المؤرخين وصف مجلسها ذلك بأنه يضاهي مجلس شعراوي أو صالون مي زيادة.. أما المجلس الثاني فكان مكرساً للأدب والمتقنين ومن رواده "رفائيل بطي وجعفر الخليلي". أما عن حياتها الاجتماعية والخاصة فقد شاء القدر إن لا تتزوج فقد وهبت نفسها للنهضة النسوية العراقية التي أتت ثمارها ونتائجها في نشر الوعي الثقافي والاجتماعي بين النساء العراقيات في ذلك الوقت.

ثم اتجهت إلى كتابة البحوث والمقالات التي تخص حرية الفكر والأدب والقانون ونشرها في الصحف والإذاعة مع إلقاء المحاضرات في نفس هذا المجال في العديد من الكليات.. وفي آذار عام ١٩٥٨ أصدرت كتابها الموسوم (أول الطريق) الذي تناول تطور المرأة العراقية منذ ثورة العشرين الخالدة إذ أشاد بكتابها هذا العديد من المفكرين والأدباء والمتقنين في ذلك الوقت نذكر منهم الأستاذ الكبير "منير القاضي" وزير المعارف السابق، ورئيس المجمع العلمي وقتها، الذي تناول في كتابها أول الطريق المقدمة التي أثنى فيها على الأعمال التي أنجزت من قبل طالبته الأستاذة صبيحة الشيخ داود.. فقد كتب في مقالته (وقد دفعني إلى كتابة هذه المقدمة قيام الصلة الوثيقة بيننا، صلة أستاذ مخلص مع تلميذة نجيبة وقيمة، فقد قضيت في تدريسها مع زملائها أربع سنوات في كلية الحقوق، وهي الفتاة الوحيدة بين نحو ألف طالب يحترمونها وتقدر أدبهم وحسن سيرهم معها على وجه المساواة.

دورها الريادي..

في مقالة بعنوان (صبيحة الشيخ داود ودورها الريادي) يقول "حيدر الحيدر": "في مقالة بعنوان (صبيحة الشيخ داود ودورها الريادي) يقول "حيدر الحيدر": "كان لنشأتها الأولى ومكانة والدها تأثير في أن تكون أول محامية في العراق، إذ أن والدها الشيخ أحمد الداود كان وزيراً للأوقاف في وزارة عبد المحسن السعدون الثالثة من ١٤ / كانون الثاني ١٩٢٨ لغاية ٢٠ / كانون الثاني ١٩٢٩.. وكان يحظى بدرجة عالية من التقدير في الأوساط السياسية الاجتماعية والثقافية والدينية وكان لذلك تأثير كبير في نشأة ابنته".

ويواصل: "كان لنشاطات والدتها (جمعية النهضة النسائية) في أوائل العشرينيات دور كبير في تشجيعها على فتح صالونها الأدبي، ففي عام ١٩٢٣ أسست جماعة من النشاطات



العراقيات أول جمعية نسائية باسم (نادي النهضة النسائية) كانت من بين المؤسسات: نعيمه العسكري/ أخت جعفر العسكري (وهي عقيلة نوري السعيد). فخريه السعيد/ أخت نوري السعيد (وهي عقيلة جعفر العسكري). عقيلة الشيخ أحمد الداود أي (والدة صبيحة الشيخ داود). السيدة أسماء الزهاوي شقيقة الشاعر جميل صدقي الزهاوي.

بولينا حسون صاحبة مجلة (ليلى). وغيرهن من سيدات المجتمع آنذاك.. وكان للجمعية برنامج إصلاحية متكامل كان مثير إعجاب الرائدة النسائية المصرية (هدى شعراوي) وكان مقر هذه الجمعية ساحة الميدان.. وقد خطب نوري السعيد يوماً في مقرها قائلاً: "الشجاعة في أن الحياة لنا. لصانعي الفجر.. للمرأة الحياة". ويضيف: "النشاطات الإنسانية الأخرى التي مارستها صبيحة الداود، أدت دوراً ريادياً واجتماعياً في النهضة النسوية وشاركت في مختلف الجمعيات الخيرية مثل: (الهلال الأحمر/ الأم والطفل/ الاتحاد النسائي)، وساهمت في كثير من الأنشطة والمؤتمرات النسوية والإنسانية داخل وخارج العراق.. فكانت صوتاً أميناً دلت على رفعة المرأة وتقدمها وصدق كفاحها من أجل المساواة. كما ساهمت في الكتابة لعدد من الصحف والمجلات النسوية.. إلا أن ما يشهد لها في التأليف كتابها الذي يحمل عنوان (أول الطريق) ظهرت فيه ككاتبة ومفكرة، وكان كتابها فاتحة عهد جديد للمرأة العراقية في حمل أعباء المسؤولية، تناولت مواضيع مهمة في مسيرة الحركة النسوية في العراق ومما كتبتة:

- × العراقية في الريف.
 - × الجمعيات النسوية.
 - × معركة العراقية مع الحجاب.
 - × مفكرون انتصروا للمرأة.
 - × نادي النهضة النسائية.
 - × التعليم النسوي.
 - × العراقية في ثورة ١٩٢٠.
 - × الملك فيصل يفتتح مدرسة في بيته.
- وغيرها من المقالات ذات العلاقة بالحركة النسوية".

صراع بين تيارين..

وفي مقالة بعنوان (صبيحة الشيخ داود.. أول

تلميذة تدخل مدرسة للإناث في العام ١٩٢٠) نشرت في صحيفة "صوت العراق": "مع نشوب الحرب العالمية الأولى جاءت ولادتها. وكان المجتمع العراقي منذ مطلع القرن الحالي يموج بتيارات واتجاهات سياسية واجتماعية وفكرية مختلفة. والصراع بين (المجددين) و(المحافظين) على أشده. ولقد اتخذ هذا الصراع وجوداً متعدد منها قضية (السفور والحجاب) التي شغلت الناس ربحاً من الزمن. والتي عاشها الناس وتابعوها على صفحات الجرائد والمجلات. ومع أن دعاة التغيير والتجديد لم يكونوا بالقوة التي كان عليها دعاة المحافظة. إلا أن تيار التغيير استطاع أن يكتسح أمامه كل الصعوبات والعراقيل لأن حركة التاريخ كانت مع الذين حرصوا على تبديل صورة مجتمعهم. إن صبيحة الشيخ داود تحدد نهوض المرأة الجديدة بعامل الثورة العراقية ١٩٢٠، وحركة التعليم. ولا يعني هذا أنها تتجاوز دور المرأة نفسها ومكانتها في الأسرة بكل ذلك، ولكن الذين "يشايعون هذه النهضة الباسقة لا يدركون لاقترانها بالثورة وارتفاع صيحتها في سبيل حرية الوطن وسيادته، ففي أيام الثورة سارت أول مظاهرة للمرأة، وفيها بدأت أول عملية اكتتاب لغرض وطني، وقدمت أول احتجاج وفي الثورة لم تبال المرأة بكل تضحية".

نضال المرأة العراقية..

وتضيف: "لقد حرصت صبيحة الشيخ داود على تسجيل أحداث ووقائع نضال المرأة العراقية وذلك في كتابها الذي حمل عنوان "أول طريق إلى النهضة النسوية في العراق" ونشر ببغداد سنة ١٩٥٨، وذلك رغبة منها في اطلاع الجيل الجديد على "تطورات قضية المرأة الجديدة في العراق" فهي تقول في مقدمة الكتاب "كان لزاماً على أن أسجل هذه المرحلة.. ولا شك في أنني كنت أعد مسؤولية إلى حد كبير لو لم اضطلع بهذا العبء بكوني واحد ممن ماشين النهضة، وساهمن في إرساء قواعدها وأصولها، بين أول دفعة من الطالبات، وأول طليعة من المعلمات ثم في أول مرحلة للتعليم المختلط في هذه البلاد...". وتتناول الدكتورة "إنعام مهدي" في كتابها "حفريات في الذاكرة العراقية" وهي جزء من حياة "صبيحة الشيخ داود": "تعد صبيحة الشيخ داود من أوائل الفتيات اللواتي تحدين التقاليد فتجسد ذلك بإكمالها لدراستها الابتدائية والمتوسطة، ثم أدخلوها دار المعلمات الابتدائية وتخرجت منها، وكانت من الطلبة المتفوقين الذين حظوا برعاية الملك فيصل الأول، الذي خصص لهؤلاء جوائز للتفوق. بعد إكمالها لدراستها أبدى الملك فيصل الأول رغبة بإرسالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال لدراستها لكنها رفضت، ولم تقدم صبيحة الشيخ داود، فيما بعد مبرراً لرفضها هذا، واختارت إكمال لدراستها في العراق، إذ قررت دخول كلية الحقوق عام ١٩٣٦ فكانت أول فتاة مسلمة تدخل الكلية، باستثناء فتاتين مسلمتين دخلتا كلية الطب في العام نفسه هما "سانحة أمين زكي" و"نورة زيتون الرمضاني". وقد كانت تجربة صبيحة الشيخ داود متميزة وصعبة في الوقت ذاته".

وفاتها..

توفيت في بغداد ١٩٧٥، ودفنت في مقبرة الخيزران.

صبيحة الشيخ داود.. رائدة في الحركة النسائية العراقية

د. خيال الجواهري



ولدت صبيحة الشيخ داود في بغداد سنة ١٩٢٠، ودرست الابتدائية في مدرسة لم يزد عدد طالباتها على ثمانية نذكر منهن: باكيزة واصف، وصفيّة واصف، وحسيبة الشيخ داود، وسليمة خضر، ومديحة توفيق الخالدي، وعفيفة توفيق الخالدي، ومديحة صالح.

وقد لاقى التعليم النسوي آنذاك مقاومة ضارية مما حدا بوزارة المعارف الاعتناء بالدفعة الأولى من المتخرجات أمام انتقاد المحافظين، فمنحتهن عام ١٩٣٤ حقوقاً استثنائية للقبول في الصفوف الثانوية وأداء الامتحانات العامة.

كان والدها مدير للأوقاف ووالدتها ناظمة نائبة رئيسة أول تنظيم نسائي عراقي (نادي النهضة النسائية) وبرئاسة أسماء الزهاوي شقيقة جميل صدقي الزهاوي.

ارتفع عدد طالبات المدارس الإعدادية للبنات في مدرسة واحدة سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ إلى ٤٥ طالبة، وارتفع عدد الطالبات من سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ إلى ٢١٢٠ طالبة حتى وصلت أعدادهن سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ إلى ١٢٨٨٥ طالبة.

وفي أوج هذا الانتقال ألفت المرأة العراقية (باصبع الديناميت) وأعلنت بأنها لم تعد تكفي بما اجتازته من مراحل الدراسة، واتمت صبيحة دراستها الثانوية في سنة ١٩٣٦ وصممت أن تدخل كلية الحقوق وشجعها والدها الذي كان ذا مركز ديني ولكنه من أشد المتحمسين للمرأة المتعلمة، ووقف إلى جانبها لكي تدخل الكلية رغم أصوات الرفض والاعتراضات من قبل أحد المقربين منها وقوله:

لكن والدها أجاب: إن ابنتي ستدخل الكلية.

وذهبت برفقة والدتها إلى الكلية، خوفاً من حدوث ما لا يحمد عقباه، ووجدتا الطلاب متجمهرين على جانبي الطريق.. فدفعتها بيدها وقالت.. أذهبي وحافظي على هوثك.. وتقول: انتزعت البرقع عن وجهها وبقيت أتمسك بالعباءة وأشد عليها بيدي بقوة □ ونجحت في تحقيق الغاية وهي دخول أول فتاة إلى كلية الحقوق ونجحت التجربة الأولى، وهي دخول فتاة مسلمة للتعليم العالي من أبوابه الواسعة والفتاة الوحيدة من بين ١٨٠ طالبا.

كانت أول فتاة عراقية تحطم حاجز الخوف وتحقق أراحتها وكفائها، وبدأت المباراة الحقيقية بين الكليات في قبول الطالبات، وهنا نذكر أن في دار المعلمين العالية سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ كانت فيه طالبة واحدة وتخرجت، وفي السنة التالية أصبح العدد ١١ طالبة، وفي سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ارتفع العدد إلى ٦٢ والسنة الدراسية التي تلتها إلى ٨٠ طالبة، وأيضا في كلية الطب كانت فيها طالبة واحدة سنة ١٩٣٩ وفي سنة ١٩٥٦ كان العدد ١٢ طالبة، هكذا كانت المرأة العراقية صامدة أمام التحديات والعادات والتقاليد القديمة التي فرضت عليها القيود.

في نفس الوقت تحلت المرأة العراقية بمزايا عالية

ودوافع ذاتية كريمة في كفاحها للتعليم والدراسة، وظهر جيل جديد قادر على تحمل العقبات والاضطلاح بمهام القيادة، وأن تحتل مكانتها بجدارة مثل مديرة مستشفى أو رئيسة قسم أو مشرفة تربوية، وقد برهنت الشواهد على انها عضو فعال في المجتمع رغم العقبات والتحديات التي تواجهها ولاسيما فيما يتعلق برفع الحجاب. ومن الصفد الجميلة أن (نادي النهضة النسائية) قد أسس في نفس السنة التي ظهر فيها إلى النور (الاتحاد النسائي العربي) وبرئاسة هدى الشعراوي، وكان من بين المؤسسات الأنسة حسبيبة جعفر، والانسبة بوليناسون صاحبة مجلة (ليلي)، وقد عملتا في هذا النادي بهدف توحيد شمل المرأة وتنويرها بواجباتها وحقوقها، حتى قوبلت هذه الدعوة بمجابهة عنيفة من قبل المتعصبين والمحافظين، وقد بلغ بهم إلى تقديم شكوى إلى الحكومة بالصد من هذا المنتدى الذي بدأ أعماله في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٢٣ وكان مركزا اهتمامه على المحاور التالية:

- فتح دور لتعليم الأميات.
- القيام بخياطة الملابس للفقيرات.
- القيام بتربية وتعليم عدد من اليتيمات.

انتصرت المرأة العراقية في مجال التعليم ضد الاصوات الداعية إلى حجرها داخل المنزل. وكان لشخصيات أدبية كبيرة دور في مساندة المرأة بالصد من ذلك، ومنهم الشاعر جميل صدقي الزهاوي، حيث يعيب الحجاب أيضا ويرجعه إلى العادات لا إلى الدين وقال:

منعوهن أن يرين ضياء فتعودن عيشة الظلمات
دفنوهن قبل موت مريح في قبور سود من
الحجرات

وكذلك الشاعر محمد مهدي الجواهري نظم قصيدة يطالب فيها بتعليم المرأة وقد نشرتها جريدة العراق البغدادية عام ١٩٢٩:

علموها فقد فكأكم شئنا وكفاه أن تحسب العلم
عارا
وكفانا من التّفَهْرِ.. أنا لم نعالج حتى الأمور
الصغارا
هذه حالنا على حين كادت أمم الغرب تسبِق
الأقدار
أنجب الشرق جامدا يحسب المرأة عارا وأنجبت

طيارا
تحكم البرلمان من أمم الدنيا نساء تمثل الأقطارا
ونساء العراق تمنع أن ترسم خطأ أو تقرأ
الأسفار
وكتبت فتاة غسان (الدكتور سامي شوكت):
أنكم تريدون أن تبقى المرأة على حالها، متذرعين
بالدين والعادات، ولكنكم في الوقت الذي تفعلون
هذا مع المرأة باسم الدين والعادات تجيزون
لأنفسكم الزنى والميسر وشرب الخمر دون أن
تحسوا في ذلك، ديناً وعرفاً...

ورويدا فرويدا تعززت مشاركة المرأة في إطار
التنظيمات النسائية، وكانت من الأوائل في العمل
من أجل تحرير المرأة وأثبتت مواهبها وقدرتها على
حرية الحركة لتساهم في بناء مجتمع جديد.

شاركت صبيحة الشيخ داود في أول مهرجان
أدبي سمي (سوق عكاظ) بدور الخنساء، فاعتلت
ظهر الجمل وألقت قصيدة، وكان مهرجانا
ممتعا وجميلا، وكانت قد لبست الزي العربي
الاصيل، بعد معارضة من قبل وزير الداخلية
أنداك محمود رمزي الذي جاء لو الدها مع ثلاثة
من رجال الشرطة من أجل منع مشاركتها كونها
سافرة. ولكن والدها أجاب بأن ابنتي ستخطب
غدا (القصيدة)، وقد مثلت صوت المرأة المتقدمة
وعبرت عن نفسها وقدرتها وقوتها في أن تكون
مثالا للشابات في ذلك الوقت.

عام ١٩٤١ عينت بوظيفة (مفتش) في وزارة
المعارف العراقية، وبحكم موقعها ساهمت في دعم
الدعوة لتعليم النساء، من ثم كانت الداعية لفتح
عدد أكبر من المدارس في بغداد والعراق.

وعام ١٩٥٦ عينت (قاض) حيث كان هذا المنصب
حكرا للرجال. وفي عام ١٩٥٨ عينت (عضو
محكمة الأحداث)، ومن أجل ضمانه حقوق
المرأة العراقية، وتحقيق أهدافها والمطالبة فيما
بعد بالحقوق القانونية والدستورية من خلال
منظمات نسوية، حظيت بالمساندة من قبل صحف
عراقية، فكانت أول صبيحة بهذا الشأن هي التي
أطلقتها الصحفية (بولينا حسون) عند اجتماع
أول مجلس تأسيسي عراقي في مقالة نشرتها في
العدد الصادر في ١٥ أيار ١٩٢٤ عن مجلة (ليلي)
التي كانت تصدرها حينذاك:
"إن نجاح النهضة النسوية الناشئة منوط

بخبرتك وشهامتك أيها الرجال الكرام، ولاسيما
أنتم الذين تحملتم أعباء مسؤولية تأسيس
الحياة الديمقراطية العراقية على قواعد عصرية
راسخة في الحياة، وأنتم تعلمون أنها ليست حق
الرجل فقط".

في المؤتمر النسوي الشرقي الأول الذي عقد
في دمشق العام ١٩٣٠، مثلت العراق السيدة
أمينة الرحال، وكانت يومها طالبة بدار
المعلمات والسيدة جميلة جبوري معلمة مدرسة
البنات الرسمية. وقد ألفت في هذا المؤتمر
أمينة الرحال كلمة دعت فيها إلى تحرير المرأة
اقتصاديا، قائلة:

"إن نظرية مطالبة المرأة بمساواتها بالرجل
أصبحت سخيفة، لأن الظروف الاقتصادية هي
التي فرقت بينهما على مر السنين والعصور".

وفي المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في
بغداد عام ١٩٣٢ ألفت مندوبة العراق ربيعة
الخطيب كلمة جاء فيها: "إن الدين الإسلامي
لا يقف في طريق تعليم المرأة وتحررها، وإن
الديانة الإسلامية تذهب في هذا المعنى إلى مدى
أبعد من أختها المسيحية". وقالت "إن علة تأخر
المرأة عندنا لا يعود إلى الدين، بل إلى العادات
الاجتماعية، وفي مقدمتها السفور والحجاب.

كما ساهمت صبيحة الشيخ أحمد الداود في
هذا المؤتمر واختيرت سكرتيرة له بعد ألقاء
مداخلتها عن المرأة وحقوقها وأثرها في المجتمع
ومشاركتها في تطوير وعي النساء.

وفي المؤتمر النسائي العربي الاول والذي
دعت إليه الزعيمة المصرية هدى الشعراوي في
القاهرة عام ١٩٤٤ وهي المحاولة الأولى لتنسيق
جهود المرأة العربية والعمل على تقرير حقوقها
السياسية والمدنية. مثلت العراق فيه (مائدة
الحيدري، ماري كونت أصغر عن الهلال الأحمر،
وعفيفة رؤوف عن وزارة المعارف، وسانحة
أمين زكي عن وزارة الشؤون الاجتماعية، وروز
خدروري عن (جمعية بيوت الامة)، التي تحدثت
خلاله عن المرأة والشؤون الاجتماعية.

أما المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في بغداد
عام ١٩٥٢ فقد مثلت صبيحة العراق فيه، والذي
افتتحته السيدة آسيا توفيق وهي رئيسة الاتحاد
النسائي العراقي.

البغدادية التي كسرت التقاليد البالية

عالية كريم



عندما قابل والدها الوزير لاجل قبولها في كلية الحقوق: " كان الوزير عصيبا ورفض قبولها ورجا والدها ان يعدل عن الامر وعندما عادوا الى البيت تلقى والدها اتصالا هاتفيا من شخصية معروفة في الدولة ليخبره ان قرار ابنته بالدخول الى الجامعة سيسبب مشاكل لا حد لها، غير ان والدها اصر على طلبه بان ذلك من حقها وبرغبة عائلتها.



تقول صبيحة (لم نتم ذلك اليوم وكنا كلنا نؤمن بأن علينا انا وابي واممي ان نصر على ما نوبناه في قرارنا انفسنا، ان لا نراجع عن هذا الطلب) وفعلا تم قبول طلبها.. وفي اليوم الذي ذهبت فيه صبيحة الى الكلية كانت هناك جمهرة من الطلبة المحتشدين ليروا الفتاة الجميلة السافرة بلا عباءة، يومها الفت والدة صبيحة على تلك الجمهرة كلمة مؤثرة: - " اعتقد انكم ستعاملون اختكم معاملة طيبة، فانا اتركها امانة لديكم وهي ستكون عند حسن ظنكم ولن تتروكها تندم على هذه التجربة " هذا الكلام جعل اغلب الشباب يشعرون بالخجل ويفسحون المجال للطلبة الجديدة بالدخول الى قاعة المحاضرة.

انها صبيحة الشيخ داوود اول قاضية في العراق، نشأت وتعلمت القرآن الكريم في صغرها، اتمت دراستها الابتدائية والمتوسطة ومن ثم دخلت دار المعلمات الابتدائية، بعدها دخلت كلية الحقوق، وتعتبر اول فتاة اتمت دراسة الحقوق وكانت تسمى الحقوقية الاولى وممارست المحاماة مدة يسيرة ثم عينت قاضية في محكمة الاحداث واستمرت بهذه الوظيفة حتى احيلت على التقاعد، وللحامية صبيحة كتاب يحمل عنوان (أول الطريق)

كانت صبيحة متأثرة بشخصية والدها كونه شخصية وطنية مرموقة وافكاره تنويرية متحررة وهو يدعو الى تحرر وأنعتاق المرأة كشرط لتقدم المجتمع العراقي وقد تميزت شجاعته في المجلس النيابي قبل أن يصبح وزيرا للاوقاف وقد دفع بأبنته في العشرينيات من القرن الماضي لتمثيل دور الخنساء في مهرجان تمثيلي بأسم (سوق عكاظ) رغم أن رئيس الوزراء العراقي آنذاك عبد الرحمن الكيلاني استنكر أن تظهر فتاة أمام الرجال لتلعب دورا نهضويا وقد حسم الأمر الملك فيصل الأول مؤسس الدولة العراقية الحديثة الذي أيد فكرة التمثيل وحين أراد الزعيم عبد الكريم قاسم نحية السيدة الدكتورة نزيهة الدليمي من الوزارة أستشار وزير خارجيته هاشم جواد في أن تكون هي الوزيرة البديلة لكن صبيحة الشيخ داوود اعتذرت،

تحدث صبيحة الشيخ أحمد داود من أصول عائلية مهمة ومؤثرة في تاريخ العراق: فولدها الشيخ أحمد داود كان وزيرا للاوقاف عام ١٩١٢

وعضوا في البرلمان العراقي كما أنه لعب دورا بارزا في مناهضة الاستعمار البريطاني على العراق أثناء مشاركته في ثورة العشرين. انضم إلى صفوف شخصيات لامعة في الحركة الوطنية العراقية كالشيخ يوسف السويدي وجعفر ابو النمن والسيد محمد الصدر. أما والدتها نعيمة سلطان حميدة فهي شخصية بارزة وإحدى النساء اللواتي أسسن أول جمعية نسوية عراقية. دعت صبيحة الشيخ داود في مقالات صارخة الى سفور المرأة وهي أول قاضية عراقية رئيسة لمحكمة الأحداث وأول امرأة تقبم صالونا أدبيا يحضره الأدباء رجالا ونساء على غرار صالون (مي زيادة) اللبنانية في القاهرة، توفيت ١٩٧٥ وهي في عزلة صعبة وذكريات جميلة.

- ولدت صبيحة الشيخ داود في بغداد عام ١٩١٤ -١٩٧٥.

- اول طالبة انتمت الى كلية الحقوق عام ١٩٣٦

- عينت مفتشة في وزارة المعارف ١٩٤٠.

- عملت كترشيحية في دار المعلمات الابتدائية ١٩٥٠.

- في عام ١٩٥٦ نقلت كعضو محكمة الاحداث، وظلت الى ان اعتزلت الخدمة عام ١٩٧٠ وانصرفت الى ممارسة المحاماة.

- كتبت مقالات في الصحف، ومن ضمنها في مجلة (ليلي) التي تعتبر اول صحيفة نسوية التي صدرت بعدها الاول عام ١٩٢٣.

- سكرتيرة جمعية حماية الاطفال التي تشكلت عام ١٩٤٥.

- عضو الهيئة الإدارية لجمعية الهلال الاحمر ١٩٥٨.

- اشتركت في مؤتمرات نسوية عربية وكانت صوتا مسموعا للدفاع عن حقوق المرأة، فأذا ما نكرت هدى شعراوي وباحثة البداية ومي زيادة في مصر نكرت صبيحة الشيخ داوود كزعيمة للحركة النسوية في العراق.

- تعتبر اقدم اديبة عراقية معاصرة وهي اول من اقامت صالونا ادبيا اسبوعيا ينتظم فيه اعلام الفكر والادب والسياسة في العراق.

- كان عمرها ٨ سنوات عندما مثلت دور الخنساء في مهرجان (سوق عكاظ) ١٩٢٢ بحضور الملك فيصل فاعترض وقتها عبد الرحمن الكيلاني رئيس الوزراء قائلا: - سافرة وتخطب على

جمال!!

والدها الشيخ داوود كان رجل دين مثقف متنور متمدين، شغل منصب وزير الاوقاف في العراق، وكان عضوا في البرلمان العراقي، لعب دورا في مناهضة الاستعمار البريطاني.

والدتها (نعيمة سلطان حمودة) شخصية بارزة في المجتمع العراقي، وهي اول من أسست أول جمعية نسوية في العراق وقادت احتجاجات نسوية، وقدمت لـ (مس بيل) مذكرة تدين الاعتقال والتهمير القسري لعدد من السياسيين العراقيين ومن ضمنهم والد صبيحة.

عاشت السيدة صبيحة في وسط شهد صراعا حاميا الوطيس بين السفور والحجاب والتعليم النسوي واشغال المرأة لوظائف في الدولة العراقية، ناضلت لاجل اهداف حيوية قد لا يحس بقيمتها الجيل الجديد، كانت اول تلميذة في مدرسة الاناث التي افتتحت عام ١٩٢٠ تلك المدرسة التي خلقت ردود فعل هزت الاوساط في بغداد والتي اعتبرها المجتمع آنذاك تضليلا للفتيات واخراجهن عن الطريق السوي يومها تعرض والدها لسباب والشتم والتجريح.

مع نشوب الحرب العالمية الأولى، جاءت ولادتها وكان المجتمع العراقي يموج بتيارات واتجاهات سياسية واجتماعية وفكرية مختلفة. والصراع بين (المجددين) و(المحافظين) على أشده. ولقد اتخذ هذا الصراع وجوه متعددة منها قضية (السفور والحجاب) التي شغلت الناس ردحا من الزمن. والتي عاشها الناس وتابعوها على صفحات الجرائد والمجلات. ومع أن دعاة التغيير والتجديد لم يكونوا بالقوة التي كان عليها دعاة المحافظة. إلا أن تيار التغيير استطاع أن يكتسح أمامه كل الصعوبات والعراقيل لان حركة التاريخ كانت مع الذين حرصوا على تبديل صورة مجتمعهم.

لقد عاشت صبيحة الشيخ داوود وسط هذا الجو الصاخب من الصراع الاجتماعي والفكري، بل وكانت إحدى المساهمات في هذا الصراع. وتحدثت هذه المرأة عن تلك الأيام فتقول: (أن المرأة العراقية ناضلت في سبيل أهداف حيوية قد لا يحس بقيمتها الجيل الجديد. كالسفور والحجاب. والتعليم النسوي وأشغال المرأة

لوظائف الدولة وغير ذلك. وقد يكون من حق هذا الجيل أن لا يحس بذلك. ولكن عليه للإنصاف ان يتذكر مدى الكفاح المرير الذي خاضته المرأة لتصل إلى ما نراه اليوم في أكثر حقول المعرفة والعيش).

شاركت صبيحة في نهضة الصحافة العراقية كذلك، فكتبت مقالات عديدة في بعض الصحف والمجلات التي كانت تصدر منذ بداية العشرينيات، ولعل مقالاتها في مجلة "ليلي" التي صدر عددها الأول في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٣، من أقدم ما كتبت، كما أسهمت في إنشاء بعض الجمعيات النسائية فكانت سكرتيرة لجمعية حماية الأطفال التي تشكلت في ١٢ آذار-مارس ١٩٤٥ وعضوا في الهيئة الإدارية لجمعية الهلال الأحمر في سنة ١٩٥٨، وقد اشتركت في بعض المؤتمرات النسائية العربية. ففي المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في بغداد بين ٩-١٥ آذار ١٩٥٢ كانت صوتا مسموعا في الدفاع عن المرأة العربية وجهودها في بناء المجتمع العربي الجديد، ولقد حضرت مؤتمر الاتحاد العربي النسائي في بيروت بين ١٥-١٨ أيار-مايو ١٩٤٩ ممثلة لنسوة العراق.

لقد حرصت صبيحة الشيخ داوود على تسجيل أحداث ووقائع نضال المرأة العراقية وذلك في كتابها الذي حمل عنوان " أول طريق إلى النهضة النسوية في العراق"، وذلك رغبة منها في اطلاع الجيل الجديد على تطورات قضية المرأة الجديدة في العراق" فهي تقول في مقدمة الكتاب " كان لزاما على ان اسجل هذه المرحلة.. ولاشك في أنني كنت اعد مسؤولية إلى حد كبير لو لم اضطلع بهذا العبء بكوني واحد ممن ماشين النهضة، وساهم في إرساء قواعدها ووصولها، بين أول دفعة من الطالبات، وأول طليعة من المعلمات ثم في أول مرحلة للتعليم المختلط في هذه البلاد..."

وصبيحة الشيخ داوود لم تكن من أوائل الطالبات والمربيات حسب، بل كانت أقدم اديبة عراقية معاصرة وأول حقوقية وأول قاضية عربية، وأول من اقامت صالونا اسبوعيا ينتظم فيه اعلام الفكر والادب والسياسة في العراق. إن قصتها بحق ليست إلا صفحة خالدة من صفحات نضال المرأة العراقية المعاصرة.

ملتقطات من كتاب (أول الطريق) لصبيحة الشيخ داود

إعداد: عراقيون



التعليم النسوي

تناولت صبيحة تطور التعليم النسوي منذ بروزه حتى دخول المرأة مجال التعليم العالي وتزايد عدد الخريجات.

فحدثت عن انشاء اول مدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنات بقرار الوالي نامق باشا عام ١٨٩٩ ودعاها "اناث رشدية مكتبي". في هذا السياق تحكي المؤلفة عن جميل صدقي الزهاوي "رواية طريقة": فالشاعر المشهور كان من ضمن مجلس المعارف في تلك الفترة وشارك في نقاش حول افتتاح هذه المدرسة في بغداد مع اعضاء الذين كان غالبيتهم علماء ورجالا متدينين. فقد بداوا يتناقشون حول البناء الصالح الذي يمكن ان يكون مقرا لمدرسة الاناث، اطفال جدلهم وتعددت شروطهم في تلك الدار، اذ كان رأيهم ان تتصرف بما يلي: (١) ان لا تكون احدي الدور المجاورة مشرفة عليها. (٢) ان لا تكون شبابيكها مظلة على الشارع. (٣) ان لا يكون في الدور المجاورة اشجار عالية. فصمت الزهاوي طوال الوقت وبعدها سكنت الجميع قال بسخرية ان المكان الوحيد الذي يناسب مطالب اصحاب المجلس هو منارة سوق الغزل التي هي اعلى مكان في بغداد، ثم ان الفتيات يصعدن سلالمه دون ان يراهن احد، وليس له شبابيك. ثم اذا تكلمن فلا يسمع صوتهن احد! فضحك الوالي وضحك الجميع. واتفقوا اخيرا على احدي الدور الواقعة في محلة الميدان الجديدة وسجلت ٩٠ تلميذة فيها

ولقد تحدثت المؤلفة عن الصعوبات التي واجهها مسؤول المعارف حكمت سليمان عند تاسيس المدرسة الخاتونية للبنات في بغداد عام ١٩١٧. فقد تشجع على انشاء هذه المدرسة اثر زيارته مدرسة الاينس للبنات التي ضمت ١٠٠٠ تلميذة من الفتيات اليهوديات فتاثر باهتمام الاسر اليهودية بتعليم بناتهم واصبح اكثر اصرارا على تاسيس مدرسة للبنات المسلمات ان اول مدرسة للاناث تفتتح على يد امراة وهي زهراء خضر. شقيقة الاستاذ عبد الرحمن خضر. عام ١٩١٨، ضمت ٤٠ تلميذة توزعن على ثلاثة صفوف درسن فيها القرآن والرياضيات وبعض الفنون المنزلية.

بدأ تقدم التعليم النسوي في بغداد مع افتتاح مدرسة المس كيلي للاناث في الجادة الكبرى في الميدان في كانون الثاني ١٩٢٠ وبعد ذلك افتتحت اول مدرسة للاناث في النجف عام ١٩٣٥ اما اول دار للمعلمات فقد افتتحت عام ١٩٢٨ بقرار من ساطع الحصري وزير المعارف في تلك الفترة ومن ابرز مؤيدي التعليم النسوي. وفي اطار تقدم التعليم النسوي في الثلاثينيات لاد من ذكر مساهمة الاستاذ جعفر الخليلي الذي دافع بشدة في كتاباته عن تعليم الاناث.

وهكذا ووجت فكرة ضرورة التعليم النسوي شجعت على صعيد العراق مما ادى الى تزايد ملفت في عدد المدارس والتلميذات. فعدد التلميذات في المرحلة الابتدائية ارتفع من ٤٦٢ تلميذة توزعن على ثلاث مدارس للاناث في السنة الدراسية ١٩٢٠-١٩٢١ الى ١٧٧٦٥



- افتتاح دورة لتعليم الاميات.
- خياطة الملابس للفقيرات.
- تربية وتعليم عدد من اليتيمات.
انتمت شخصيات عراقيات بارزات الى النادي منذ تأسيسه فمهن: شقيقات لسياسيين ومسؤولين مهمين على صعيد العراق

في تلك الفترة كنعيمة نوري السعيد، وعقيلة السيد جعفر العسكري الذي كان رئيسا لوزراء يومذاك وايضا نعيمة سلطان حموده - والدة المؤلفة - والانسة حسبية جعفر بك والانسة بولينيا حسون - صاحبة مجلة ليلي.

اما نادي النهضة العراقية فكان من اوائل الجمعيات النسائية في العراق وكما يظهر في اهدافه التأسيسية كان جمعية مجتمعية تسعى الى مساعدة الفقراء ومحو الامية وتربية وتعليم الفتيات اليتيمات. من الواضح ان النادي منذ تأسيسه وجه نشاطاته الى اعمال اصلاحية وحصريية تعمل على تحديث المجتمع العراقي من منطلق وطني فقد روج مضمون التعليم في النادي من خلال الدورات التربوية والتعليمية

تلميذة توزعن على ١٢١ مدرسة في السنة الدراسية ١٩٣٥-١٩٣٦ ثم وصل العدد الى ١١١٢٠٨ تلميذة في ٣٢٩ مدرسة للاناث عام ١٩٥٦-١٩٥٧ اما تلميذات المرحلة الاعدادية فبلغ عددهن احدي عشرة تلميذة في المدرسة الوحيدة الاولى في السنة الدراسية ١٩٢٩-١٩٣٠ واصبح عددهن ١٢٨٨٥ توزعن على اكثر من ٥٠ مدرسة سنة ١٩٥٦-١٩٥٧

كما افتتحت دور المعلمات في كل محافظات العراق والتي كان عدد طالباتها يزيدا مئة كل سنة.

نادي النهضة النسائية

تأسس نادي النهضة النسائية عام ١٩٢٣ وهو اول ناد للمرأة العراقية وكانت اسماء الزهاوي شقيقة الشاعر المشهور جميل صدقي الزهاوي - اول رئيسة له اشارت المؤلفة الى ان تاسيس النادي كباقي الانشطة النسائية العراقية كان متأثرا خاصة في بداية العشرينيات - بالحركات النسائية التركية والسورية والمصرية، استند انشاء هذا النادي في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ الى اهداف خيرية ومجتمعية وهي:

لافكار ومبادئ النهضة الوطنية العربية كما هو الحال بالنسبة للنهضة الشامية والمصرية. فمكافحة الجهل والامية كانت جزءا كبيرا من المشروع الاصلاحى النهضة العربي وكذلك التعليم النسوي ومحو الامية النسائية اضافة الى ذلك نظم نادي النهضة النسائية ناديا ادبيا وفكريا يستقبل ابرز المفكرين المعاصرين وتناقش فيه اهم اشكاليات وقضايا العصر.

قضية "سوق عكاظ"

تحدثت صبيحة في فصل بعنوان "قضية سوق عكاظ" عما سماه البعض في ذلك الوقت "الفضيحة" وهي مشاركة المؤلفة عندما كانت في الثامنة من عمرها في اول مهرجان ادبي في بغداد المسمى بـ "سوق عكاظ" في ٢٤ فبراير ١٩٢٤ والذي شارك فيه ابرز الشعراء والادباء ورجال الفكر والثقافة في العراق. وقع الاختيار على صبيحة لتفوقها في المدرسة!! لتلعب دور الخنساء وللتلو احدى قصائدها امام الحشور. انتشر الخبر سريعا وعلن ان "امراة سافرة سوف تشارك بالمهرجات". فبدا الجدل حول "الفضيحة" التي ستحدث في المهرجان وهددت الحكومة من قبل بعض الشخصيات لمنع مشاركة هذه "الامراة". ولكن اسرة الشيخ داود اصرت على مشاركة ابنتها الصغيرة في المهرجان ورفض الشيخ داود تنازل ابنته عن دورها على الرغم من تهديدات الحكومة العراقية باستخدام "القوة والضغط". وفي النهاية شاركت ابنة الشيخ داود وبمو افقة الملك فيصل ولعبت دور الخنساء امام الوف من سكان بغداد والاقاليم والقت قصائدها وهي تغتلي ناقة وهي ترتدي الملابس العربية الطويلة.

للتعليم العالي

تحدثت المؤلفة عن تجربتها كأول طالبة جامعية مسلمة في العراق دخلت كلية القانون في جامعة بغداد عام ١٩٣٦ وكانت المرأة الوحيدة بين ١٨٠ طالب. قبل ذلك كانت على البنات في العراق اللواتي ينوين الدراسة الجامعية ان يسافرن الى خارج بلدن. اصر والد المؤلفة الشيخ احمد داود على دخول ابنته الجامعة في العراق اي مع الطلاب الذكور حتى يتسنى لجميع الفتيات العراقيات دخول الجامعة وعدم الاضطرار للسفر للخارج فليس لدى جميعهن الامكانية المادية لذلك. فحسب المؤلفة تحسن لدخولها الجامعة قائلا: "بالنسبة لي لا تهمني تكاليف التعليم في الخارج! فان الله قد وسع علينا في الرزق، ولكن ماذا تعمل الفتيات الفقيرات اللاتي لا تمكنهن احوالهن المادية من تحصيل التعليم العالي في الخارج؟ هل يقضى عليهن بالحرمان من نعمة العلم! ثم هل من قانون يحظر على الفتيات الانتساب الى الكليات المختلطة؟". فاخترقت صبيحة مباني الكلية وهي ترتدي العباة وتضع البرقع الاسود على وجهها وكانت تنزعه لدى وصولها الى باب الكلية. تحدثت طويلا في الفصل الخامس من الكتاب عن معاناتها مع الطلاب الذكور الذين كانوا يسخرن منها واستنكر بعض الاساتذة وجودها وقضت السنة الاولى كلها في "اللوج" المنفرد كالجينية حسب قولها: "في سجن لا اتحدث مع احد، ولا يتحدث معي الا قليل منهم، وكنت اجلس فوق مقعدي اربع ساعات كل يوم قابعة في عباتي".

مجلس صبيحة الشيخ داود، ذكريات طريفة



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

هيئة التحرير

غادة العاملي

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

جعفر الخليلي

في إحدى مقالاته وقال ان لقططة هذه الخرزات رنة ونغمة تقوم مقام التفاعيل في موازين الشعر، ولعلها هي السبب في جعل هذه الموسيقى الخالصة الساحرة تفيض من شعر الاعظمي اكثر من التفاعيل التي تعلمها من علم العروض، وقد هاج هذا المقال قريحة الشاعر حسين علي الاعظمي فجاءنا في الندوة التالية من الخميس بقصيدته الرائعة عن هذه المسبحة وضمنتها وقدسيتها وكل هذا كان قد نوقش في الجلسة التي كتب عنها عبد المجيد لقال، وقد قرئت القصيدة ونشرها (الحارس) وتناقشتها بعض الصحف عن الحارس وهي التي اوردها هنا:

جاءت الي بسبحة من ادمع
او سبحة من اكبد وقلوب
من جيد راهبة تسبح بزحلة
وخلعت في بغداد ثوب نونبي
وعكفت في محراب قلبي خاشعا
لائال في محرابه مطلوب
متعلقا بالله جل جلاله
متشغفا بحبيبه وحبيبي
متوسلا، متأملا، متضرعا
منظلمعا في لوحه المكتوب
لتدور بي شمس بدون غروب
وتسير في بحر الوجود سفينتي
بشراع روحي او بخار لهيبي
وتطوف حول حبيبها هيمانة
بجمالها من غير عين رقيب
فهو القريب لهائم في قربه
ولن جفا ونأى فغير قريب
وهو المجيب لعاشقيه سؤلهم
ولن طغى في الارض غير مجيب
اني لاهواه واخوى قربه
مستعذبا في حبه تعذبي
لأرى بنور جلاله ما لا ترى
عين امرئ من سره المحبوب
واحل من ملكوته في موطن
فيه غريب الدار غير غريب
يا نفس هذا منزلي فاستبشري
يا نفس في وطن الخلود وطبي
انه والله من العقوق المر ان ننسى حسين علي
الاعظمي الذي طالما اسدى لوطنه المعروف وهو وكيل
ومعاون لعميد كلية الحقوق، وقد تخرجت على يديه
المئات من الحقوقيين الذين لا يزال الكثير منهم اليوم
قضاء، وحكاما ومحامين، ومن العقوق ان تتناسى
شاعرا كان المجلي في الكثير من المناسبات التاريخية
والوطنية والغريب اننا لم نعد نذكره حتى اسطرنا
وعرضا حين يمر ذكر الذين اسمهموا في خدمة كلية
الحقوق او الذين يمر ذكرهم كشعراء في هذه الفترة
من الزمن.
ومما ذكر في يوم الخميس الذي خصته صبيحة باهل

الادب والشعر والحقوق ان مناقشة جرت بيني وبين الاستاذ منبر القاضي. والاستاذ منبر القاضي عالم معروف وفقه شهير وقع في اشتباه او سهو ولكن ذلك الاشتباه والسهو لن يقلل من قيمته كعالم جليل، فقد روى ذات ليلة فيما روى بيننا من الشعر رواه على هذا النحو مستشهدا به:

واني رأيت الناس فيما رأيتهم
ظواهرهم ليست كالبواطن.

وكان قد روى لي في مجلسي آخر من مجالس صبيحة الشيخ داود بيتا آخر من الشعر كان هو الآخر خارجا على الوزن وكانت لي معه وقفة، فقلت له ان هذا البيت غير موزون، ولابد ان يكون العجز مثلا (ظواهرهم ليست كما في البواطن)، او يكون مثلا (واهرهم غير التي في البواطن) او يكون غير هذا فقال انا متأكد ان البيت قد ورد على هذه الصورة فقلت من الجائز ان يكون الخطأ من الطبع اذا كان النص مطبوعا، ومن الناسخ اذا كان النص مخطوطا او ان يكون البيت من محفوظات الصغر، ان كثيرا ما يعلق الشيء بذهن المرء من صغره وهو خطأ فيظل مرتسما في ذهنه حتى ولو بعد ان يتمكن المرء من اللغة والنحو والصرف والعروض..

وبدا لي ان (القاضي) لم يرتض بقولي، ولم يجز بنا النقاش الى اكثر من هذا فالرجل كبير الشأن، ومحترم، وعالم بحق، وكفاني اني كتبت البيت في مذكرتي، ثم نسيت، وقد بحثت عن اليوم في عدد من المذكرات الجيبية حين جاء ذكر الصالون حتى وجدته، وصار عندي من اليقين ان العلم وحده او علم العروض وحده لا يكفي لضبط الوزن عند العلماء ما لم تكن السليقة الفنية سليمة عند هؤلاء العلماء..

وجرى مرة في هذه الندوة من يوم الخميس ذكر الطلاق وما اذا كان يجوز للمرأة ان تمنح حق الطلاق، وكانت المناقشة عنيفة، وكانت صبيحة ترى وجوب تعديل (الاحوال الشخصية) ومنح المرأة هذا الحق، وكان منير القاضي يخالف هذا الرأي ويرى فيه خروجا على الشريعة الاسلامية..

فقلت ان الذي اعرفه عن المذهب الجعفري ولا ادري ما اذا كانت المذاهب الاسلامية هي الاخرى ترى مثل هذا الرأي ام لا، هو ان بإمكان المرأة ان تطلق زوجها اذا جرى مثل هذا الشرط في عقد الزواج، كان يتنازل الزوج عن حقه هذا لها ويعهد به اليها. لا انكر ما كان رد من حضر من الفقهاء على هذا الرأي، ولكني اذكر ان منير القاضي اراد يمزح فقال: لو اردنا ان نجعل الطلاق بيد المرأة لما غبن احد غيري في عالم الرجال لانني ساكون اول من تطلقه زوجته وذلك لانعدام المزاي التي تتطلبها الزوجة في زوجها في شخصي، فضحك الجميع، واستغفر بعضهم لما يعرفون للشيخ القاضي من المزاي الفائقة من حيث دمائه الخلق والانسانية فضلا عن علمه وادبه..

عن كتاب (مكذا عرفتهم) الجزء الخامس

يضم صالون صبيحة الشيخ داود مختلف الاجناس من الناس رجالا ونساء فان الاحاديث التي تجري في صالونها تتناول مختلف المواضيع من احاديث سياسية وتعليقات على الاخبار، ومناقشات ادبية، وطرائف عامة وخاصة، كما ان هذا المجلس لا يخلو احيانا من التوافه والزبد الذي يذهب جفاء وكثيرا ما ينتقل المفيد مما يجري في هذا الصالون الى الصحف وعلى الاخص صحيفة (الحارس) التي انتدبت خصيصا لنقل الاخبار الادبية والمناقشات التي تجري في كل يوم خميس، كذلك كانت جريدة (الزمان) كثيرا ما تعكس اخبار هذا الصالون وما يجري فيه.

وذات مرة بلغ البلاط الملكي ان بعض حضار صالون صبيحة الشيخ داود قد تناول الوصي عبد الاله بشيء من النقد. وكان ان ابلغ شاكر الوادي وكان حينذاك وزيرا للشؤون الاجتماعية صبيحة الشيخ داود استنكار البلاد وسخطه لما جرى او يجري في صالونها وطلب منها تنزيه ما يدور في هذا الصالون في مثل هذه التقولات، الامر الذي دعا صبيحة ان تتصل بالاميرة شقيقة عبد الاله مستنكرة ومستغربة مثل هذا الحجر على الحريات الخاصة، وكم كان غريبا حين وجدت الاميرة نفسها تؤيد صبيحة فيما ترتئي وتلوم اخاها على مثل هذا التدخل بشؤون الناس الداخلية.

وجاء في جريدة الحارس في سنة ١٩٥٣ ان جعفر الخليلي قد اثار في احدى جلسات ندوة صبيحة وبعض الحقوقيين موضوع الادب ووجوب افراره عن المواضيع الاخرى التي تدور في هذا الصالون وذلك بتعيين يوم خاص بالادباء يقتصر عليهم دون غيرهم وقد رحبت صبيحة بهذا الاقتراح، واقترح منير القاضي ان يكون الخميس من كل اسبوع هو اليوم المعين للادب والادباء كما اقترح ان تكون جريدة (الحارس) منبرا لاخبار هذا اليوم فتنتشر خلاصة ما يدور فيه.

وبالفعل طالت الايام الادبية في بيت صبيحة وكرتت الاقوال والاراء التي نقلتها جريدة الحارس عنه وربما تناقلتها صحف اخرى عن (الحارس). وكان لعبد المجيد لطفي الذي لازم هذا اليوم الادبي مقال طريف عن هذا اليوم في (الحارس) وكانت صبيحة قد اهدت حسين علي الاعظمي مسبحة جميلة جاءت بها معها من لبنان وقد اعجبت الحاضرين مداعبة الاعظمي لخرزات هذه المسبحة وطبقاتها الموسيقية، فتناول عبد المجيد لطفي هذه المسبحة

من هو ابو صبيحة الشيخ داود؟ عالم دين ضد التزمت والجمود..

حميد المطبي



الشيخ احمد الشيخ داود (1871-1948) من اعلام اليقظة الفكرية في العراق، وهو فقيه جعل في فقهه وثبة وطنية تحرر الدين من التزمت والجمود وهو زعامة وطنية، وأسس أحزابا وطنية في بداية نشوء الدولة العراقية الحديثة في العشرينيات وكتب برامجها على قاعدة (ان الولاء الوطني هو العراق) وكان مؤرخا، شاعرا، مصلحا في الاجتماع، تخرج به جيل حفر في الصخر عميقا عميقا كي يستقيم العراق على الدفق الحر الامين..!



الشيخ احمد.. افكارك هي افكارنا..) وهن الشيخ احمد رأسه معلقا، (ايها الشريف فيصل.. نشاركك على حب العراق).. وخرج فيصل واصدر امرا بتعيين الشيخ احمد عضوا في لجنة الانتخابات وعضوا في (المجلس التأسيسي؟)، وفي هذا المجلس قال: (لا.. المعاهدة العراقية البريطانية حرام!..)

وقد تعرف على كلمة (لا) وهو يدرس الدين، ودرسه على وفق ان كلمة (لا) في الدين تعني الرفض لكل شيء مضر، او قبيح او شاذ، وفي ضوء معرفته هذه اسهم او اسس احزابا وطنية ففي عام 1922 اسس مع جعفر ابي التمن ومهدي البصير (الحزب الوطني العراقي) وفي عام 1924 أسس ورأس (حزب الامة) وكان معه في التأسيس جعفر الشيببي وداود السعدي وفي عام 1934 اسس مع علي جودت الأيوبي ونجيب الراوي (حزب الوحدة الوطنية).. وفي برامج هذه الأحزاب كانت اصابع الشيخ احمد تكتب او توشر ثلاثة مبادئ هي التحرر من اية طائفية، وجمع الأحزاب الوطنية في حزب واحد لان في تعددها ضربا للوحدة الوطنية والعمل من اجل عراق قوي..!

وانتخب في مجلس النواب، في الدورة الانتخابية الاولى (1925-1928) وفي الدورة الانتخابية الثانية (1928-1930) وفي الدورة الانتخابية الخامسة (1930-1934)، وكانت نيابته نيابة وطنية تجسدت في ثلاثة مبادئ وهي: رفض المعاهدة العراقية البريطانية، والدعوة الى تحديث العراق بتحديث دولته، وتصفية المستشار البريطاني، وفي محاضر البرلمان العراقي على عهد الملكية يبدو الشيخ احمد ذلك اللسان الذي ترجم قلوب الاكثرية بامانة ضميره. وفي وزارة عبد المحسن السعدون الثالثة (1929-1929) عين الشيخ احمد وزيرا للأوقاف وفي وزارته سعى الى توحيد الصوم والاعباد بين طوائف المسلمين، كما اسهم مع وزراء في تخفيض الضرائب وتسهيل انجاز التشريع فيما يخص اصدار عملة عراقية مستقلة، كما دعا الى حماية المصنوعات العراقية من المزاومة الأجنبية، وسواء كان في نيابته ام في وزارته هو المشرع والمخطط والبارع في تخريج المواقف النبيلة لصالح عراق يواكب التحديث الحضاري، بل كان فضيلة ومنبرا وجهادا.

والى ذلك كله كان اديبا يوجه شاعر ينسخ القصيدة على قدر الموقف الوطني واصدر عدة كتب في اغراض بحثية عامة، منها: (رسالة في جواز تنوع الملائكة ومماثلتها لبعض الحيوانات الارضية) و(الايات البيئات) و(المواهب الرحمانية..) وصدرت كتبه مجردة من تواريخ طباعتها، سواء كان في مؤلفاته ام في دوره الوطني ام في انشطته عقله الاخرى، هو، هو، بذلك الانسجام الروحي بين داخله الذي قد من ارادة عليا، ومظهره الخارجي الذي قد اضا من صلاحه ابائه الاول، وكان ايضا قلبا كبيرا ينبض بروحية التاريخ..!

اعلام العرب. ج1. بيت الحكمة في بغداد

خانقين، فاصلح في ادارتها، وجعل فيها قاعدة للتطوير، ثم يضغط عامة بغداد عينه العثمانيون رئيس الواعظين فيها ويضغط اخر من العلماء اخير عضوا في ولاية بغداد وعضوا في مجلسها العمومي، وفي عام 1917 عين مديرا للأوقاف فانجز جامعا بيت مبادئ الحرية وكان يقول (الحرية الحرية.. هيا لتحرير العراق من الاحتلال!..)

وكان من رعييل الفكرة العربية، ومنذ فجر حياته العلمية، وفي وثائق الاوقاف العثمانية اريتاب من دوره الديني، وكان الانكليز يصفونه في تقاريرهم بانه: (عالم مشاكس لايعتمد عليه) ان كان الانكليز يبحثون في احتلالهم او في انتدابهم عن علماء الكياسة والمسالم، والشيخ احمد الخائر بطبعه ليس من هؤلاء المسالمين، فقد شاهده الانكليز يعرض الجمهور بالانتماء الى (حرس الاستقلال) سنة 1919 وهو الحزب الذي مهد لثورة العرين، وكان قد جعل بيته منطلق الشرارة في هذه الثورة التحريرية، فيه يجتمع السيد محمد الصدر رئيس الحزب، وفيه تصدر بيانات الثورة العراقية، ولما شعر الانكليز بان بيت الشيخ احمد اضحى قلعة الثوار هجموا عليه، وحملوا الشيخ احمد في سيارة عسكرية وهو نيام النوم ووثقوا يديه ونقوه الى جزيرة (هنجام) وعاد مع عودة احرار العراق، وهو ثائر يصنع قدر الثورة بيديه وقد العراق بافكاره..!

وقال له الملك فيصل الاول في اول زيارة لبيتته: (ايها

وهو على هذين الشيخين ادرك غاية الشرائع وحقائق المذاهب الاسلامية وكان في فترات يلزم عددا من اعلام الدراسات الدينية من امثال: العلامة عبد اللطيف افندي والعلامة بهاء الحق والشيخ مصطفى الواعظ وكل هؤلاء الاعلام افادوه في تدقيق الفرائض والحديث والرواية اي انه جمع الى العلوم العقلية العلوم النقلية فتخصص بها في تفسير الحياة، وتدرع بها لتفسير احداث الحياة، انما درس العقل في الدين ودرس النفس في تضاعيفه لكي يوظف كل الدين في تحرير الحياة من بؤس الحياة، ان هو كان من دعاة ان الدين فضيلة ونقاء، فينبغي ان تخرج الفضيلة من الجامع الى الحياة، وتذب في الارض، وتذب في الانسان لاحداث الشرارة الالهية لتقويم اي عوجاج في حياة الناس!..

وفي عام 1890 منحه الشيخ نجم الدين النقشبندي اجازة في (تخليفه) ان صار من حقه ان يخطب الناس في الجوامع والمحافل الدينية، وفي خطبه وزع في النفوس بذور الحرية، وعين مدرسا في ديالى، وهناك اقام قاعدة من عقول المنتورين وتكشف لنا بعض وثائق محافظة ديالى بان الشيخ احمد الداود هيا نفوسا صالحة للثورة على الفساد العام، وكان من بينهم قاضي بعقوبة الشيخ حسين افندي.. الذي قاوم الانكليز في ثورة العشرين وقتلوه على عتبة داره..!

واشتهر الشيخ احمد كونه مصلحا، دقيق المناورة على العثمانيين، ويضغط من العامة عين قائم مقاما في مدينة

ولد في كرخ بغداد واصل اجداده في مدينة (عنه) وكانوا يمارسون التصوف على الطريقة النقشبندية وكان والده (العلامة الشيخ داود افندي) من المشايخ الفقهية ببغداد، وتذكر له طريقة دينية مفتوحة نشرها في الحجاز في مدن بشمالي العراق، فهو بيت الشيخ احمد الداود مزيج بين دين يشارب فساد الذم، ووطنية انشأت لغة جديدة في فضيلة الوطن، فشب في هذا البيت العريق، قوي الحجة ويستخرج الحق من بواطنه!..

ويكفيه فخرا انه انتج ذرية كريمة الفرس فيها ابنته (صبيحة الشيخ داود) 1910-1970 اول عراقية أسست قواعد النهضة النسوية في العراق المعاصر واول حقوقية رفعت شعار (ان بالمرأة نفتح المجتمع الحديث) وكانت امها (زوجة الشيخ احمد) من اللاتي معن المال والذهب لتغذية قواعد ثورة العشرين، هو اذن بيت الشيخ احمد الداود بين رفعة وشموخ العين ويتحدر من صفاء التواريخ.

وهو في الثانية عشرة ليس العمه التي تظهره على بداية العلم، وانخل في احدي حلقاته فدرس اوليات النحو والبيان على اركان بيته ونشأ فيه الشعر وكان اكثره في الانتقاد الاجتماعي، وبلغ العشرين وهو شاعر يستمع له خطباء المنبر الاسلامي، ثم انضم الى الحلقة العلمية في حوزة العلامة علي الخوجة فاجازه في المنطق والتفسير والى حلقة الشيخ محمد سعيد الدوري، فاجازه في الفقه

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

